

توجيه المتشابه اللفظي في آيات الوصية بالوالدين

Illustration of the wisdom behind the verbal similarity
In the verses of advice concerning parents

د. استشهد أسامة حريري*

جامعة الملك عبد العزيز، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، المملكة العربية السعودية

eahariri@kau.edu.sa

تاريخ الإرسال: 2024/02/18 تاريخ القبول: 2025/04/15 تاريخ النشر: 2025/06/25

ملخص:

تناول هذا البحث دراسة آيات البر بالوالدين في السور التالية: الإسراء والعنكبوت ولقمان والأحقاف. بدراسة أوجه الاتفاق والاختلاف في بعض الألفاظ، وما لها من أثر في معنى الآية، ومن ثم تحليل وتوجيه هذا التشابه أو الاختلاف، للكشف عن الحكيم والفوائد والهدايات. وقد ذكر في هذا البحث بيان أهميته، من ذلك: تذوق الإعجاز البلاغي، والتذكير بأهمية بر الوالدين.

ويسعى البحث للإجابة عن تساؤلات عديدة، أهمها: ما الحكمة من وجود تشابه في بعض ألفاظ آيات الوصية بالوالدين؟ وما مدى تطابق هذا التشابه في الآيات؟ وما مدى الاختلاف فيما بينها؟ وهل لهذا الاختلاف والاتفاق فوائد وحكم؟

ومنهج هذا البحث هو المنهج الاستقرائي التحليلي، بتتبع الألفاظ المكررة في الآيات الكريمة، ثم دراسة وتوجيه هذه الألفاظ وإبراز دلالتها وأثرها.

وقد جاءت الدراسة بنتائج، منها: أولاً: الاستعمال القرآني للفظ (الوالدين) دون (الأبوين) في آيات البر والدعاء، تقديمًا لحق الأم على الأب في البر. ثانيًا: قوة المجاهدة والإلحاح على الشرك من الوالدين في آية لقمان مقابل آية العنكبوت، فناسب حذف كلمة (حسنًا). وتفرّد آيتي العنكبوت ولقمان بذكر المرجع إلى الله، توافّقًا مع تفردهما بذكر مجاهدة الوالدين على الشرك، تحذيرًا من طاعتهم.

* المؤلف المرسل

ثالثًا: تفاوت درجات حق الوالدين في البر من: (المعاملة بالإحسان) في حق والدين مؤمنين كما في آيتي الإسراء والأحقاف، و(المعاملة بالخير) في حق والدين مجاهدين للشرك كما في آية العنكبوت، و(المصاحبة بالمعروف) في حق والدين مجاهدين على الشرك كما في آية لقمان.

الكلمات المفتاحية: تفسير؛ التشابه اللفظي؛ بر الوالدين؛ الوصية بالوالدين.

Abstract:

This research examines verses related to the duty towards parents in the following chapters: Al-Isra, Al-Ankabut, Luqman, and Al-Ahqaf. It explores points of agreement and divergence in the wording of these verses, analyzing their impact on meaning. The study aims to elucidate and contextualize these similarities and differences, uncovering wisdom, benefits, and guidance therein. Emphasized in this research is the significance of appreciating the literary miracles and reinforcing the importance of honoring parents.

The research seeks to address several inquiries, notably: What wisdom underlies the linguistic similarities in verses enjoining kindness towards parents? To what extent do these similarities exist across the verses, and how do they differ? What benefits and insights can be gleaned from these differences and agreements?

The methodological approach adopted is analytical and inductive, tracing recurring phrases in the Quranic verses, followed by studying and contextualizing these phrases to highlight their significance and implications.

Key findings include: firstly, the Quran's use of the term "parents" over "father and mother" in verses concerning kindness and supplication, prioritizing the mother's rights alongside the father's. Secondly, the juxtaposition of earnest exhortation and urgency towards avoiding associating partners with God by parents in the verses of Luqman compared to Al-Ankabut, justifying the omission of the term "kindly." The verses of Al-Ankabut and Luqman stand out by directing adherence to God, correlating with their uniqueness in emphasizing parents' efforts against polytheism as a warning for obedience. Thirdly, variations in the degrees of honoring parents: treating believing parents kindly, as in the verses of Al-Isra and Al-Ahqaf, versus treating parents engaged in polytheism with goodness, as in the verse of Al-Ankabut, and accompanying parents engaged in polytheism with decency, as in the verse of Luqman.

Keywords: Exegesis; Verbal Similarity; Filial Piety; Parental Advice.

مقدمة:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد الأنبياء والمرسلين، نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً، طيباً، مباركاً فيه إلى يوم الدين، وبعد.

فإن تدبر معاني القرآن الكريم من أهم مقاصد نزوله، ومن أشرف العلوم وأعظمها. ومن صور هذا التدبر دراسة وتوجيه المتشابه اللفظي، الذي يعد من أسرار إعجاز القرآن الكريم في جانبه البلاغي. وذلك بالوقوف على هذه المتشابهات، وتأمل التكرار، ودقائق التشابه والاختلاف لاستنباط المعاني العظيمة والفوائد الجليلة. يقول الخطيب الإسكافي¹: "إذا أورد الحكيم - تقدست أسماؤه - آية على لفظة مخصوصة، ثم أعادها في موضع آخر من القرآن، وقد غير فيها لفظة عما كانت عليه في الأولى فلا بد من حكمة هناك تطلب، وإن أدركتموها فقد ظفرتهم، وإن لم تدركوها فليس لأنه لا حكمة هناك، بل جهلتم".

وتحت هذا الفن الجليل يندرج هذا البحث، بعنوان: (توجيه المتشابه اللفظي في آيات الوصية بالوالدين)، تدبراً لكلام الله تعالى، وتأملاً لبعض صور الإعجاز البلاغي، بدراسة أوجه التشابه والاختلاف، وأثر ذلك في فهم معنى الآية، واستنباط الفوائد والهدايات.

الدراسات السابقة:

وقد اهتمت بعض كتب التراث بالمتشابه اللفظي، ثم ازداد الاهتمام بها خلال القرن الماضي بدراسة وتوجيه المتشابه اللفظي في القرآن الكريم.

ومن الكتب المعاصرة: دراسة المتشابه اللفظي من آي التنزيل في كتاب (ملاك التأويل)، د. محمد فاضل السامرائي.

ومن البحوث بعنوان: المرادفة القرآنية بين الأصل الاشتقاقي والنظم القرآني، للباحث قوادي جيلاني. (وهو بحث يدور حول لفظي الوالدين والأبوين، واستنباط الحكيم من اختيار القرآن الكريم للمفردة في الموضع الذي ذكرت فيه).

إشكالية البحث:

المشكلة التي تعالجها الدراسة تظهر في الإجابة عن التساؤلات التالية:
السؤال الرئيس: ما الحكمة من وجود تشابه في آيات الوصية بالوالدين؟ ويتفرع عنها أسئلة:
ما الآيات المتشابهة في موضوع الوصية بالوالدين؟
وهل هناك فرق في معنى (الإحسان) و (الحُسن) و (المصاحبة بالمعروف) في بر الوالدين؟
هل هناك فرق بين لفظي (قضى) و (وصى)؟ وبين لفظي (الوالدين) و (الأبوين)؟ وبين التعبير بـ
(جاهداك لتشرك) و (جاهداك على أن تشرك)؟
وما مدى تطابق هذا التشابه في الآيات؟ وما مدى الاختلاف فيما بينها؟
وهل لهذا الاختلاف والاتفاق فوائد وحكم؟

أهمية البحث:

- 1_ ضبط حفظ القرآن الكريم، وتدبر معانيه، بدراسة التشابه اللفظي وتوجيهه.
- 2_ تذوق الإعجاز البلاغي، وبيان الفروق الخفية بين الألفاظ المتشابهة في الظاهر.
- 3_ التذكير بأهمية بر الوالدين، وتزداد الأهمية اليوم مع كثرة التفكك الأسري والعقوق وتمرد الأولاد.
- 4_ الرد على الملحدين الزاعمين التعارض بين الآيات المتشابهة، أو وجود خلل في الأسلوب القرآني، أو تعارض بين الآيات الكريمة.

منهج البحث:

هو المنهج الاستقرائي التحليلي، بتتبع الألفاظ المكررة في الآيات الكريمة، ثم دراسة وتوجيه هذه الألفاظ وإبراز دلالتها وأثرها.

حدود البحث:

تناول البحث ما تيسر من الوقوف عليه من أوجه التشابه اللفظي، من خلال الرجوع إلى ما تيسر من كتب التفسير بالمأثور والرأي، وكتب اللغة والبلاغة. وذلك في أربعة مواضع من كتاب الله، والتي تناولت حق الوالدين في البر بشيء من التفصيل، وهي:

- 1- الآيتان الثالثة والعشرين إلى الخامسة والعشرين من سورة الإسراء.

2- الآية الثامنة من سورة العنكبوت.

3- الآيتان الرابعة عشرة والخامسة عشرة من سورة لقمان.

4- الآيتان الخامسة عشرة والسادسة عشرة من سورة الأحقاف.

والاقتصار على هذه الآيات المختارة لا يعني الحصر، فهناك آيات أخرى من آيات الوصية بالوالدين في القرآن الكريم لكن بشكل مجمل، وهي: الآية 83 من سورة البقرة²، والآية 36 من سورة النساء³، والآية 151 من سورة الأنعام⁴.

وكذا في سورة مريم على لسان يحيى عليه السلام في الآية 14⁵، وعلى لسان عيسى عليه السلام في الآية 32⁶.

خطة البحث:

يحتوي البحث على مقدمة، ومبحثين، وخاتمة.

المبحث الأول: متشابه اللفظ القرآني في المفردة.

المطلب الأول: اختلاف صيغة الأمر بين (قضى) في الإسراء و (وصينا) في بقية الآيات.

المطلب الثاني: اتفاق ورود لفظ (الوالدين) وليس (الأبوين) في جميع آيات البر.

المطلب الثالث: اختلاف وصف مشاق الأم بـ (الوهن) في لقمان، و (الكُره) في الأحقاف.

المبحث الثاني: متشابه اللفظ القرآني في التراكيب.

المطلب الأول: اختلاف قوة المجاهدة على الإشارك من قبل الوالدين بين آيتي العنكبوت ولقمان.

المطلب الثاني: تفرد آيتي العنكبوت ولقمان بذكر المرجع إلى الله.

المطلب الثالث: اختلاف درجات البر بالوالدين.

المطلب الرابع: تفرد آيتي الإسراء والأحقاف بذكر مرحلة كبر الوالدين والأبناء، والدعاء للوالدين.

المطلب الخامس: جزاء الولد الصالح البار بوالديه المحسن لهما.

وخاتمة فيها أبرز نتائج هذا البحث.

تمهيد:

إن الأمر ببر الوالدين والإحسان إليهما هو شريعة الأنبياء والمرسلين، عليهم صلوات ربي وسلامه، فقد كلفه الله بني إسرائيل، كما قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَءِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ [البقرة: 83] وبين على لسان عيسى عليه السلام أنه دأب الصالحين ﴿وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا﴾ [مريم: 32].

وتكررت الوصية بالوالدين في القرآن الكريم، وحث عليه النبي ﷺ في العديد من الأحاديث، فكان بر الوالدين في هذه الأمة أجلى مظهرًا منه في غيرها من الأمم، بل هو من بركات أمة خاتم الأنبياء وسيد المرسلين، نبينا محمد عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم.⁷

ومقصد الشريعة الإسلامية من عنايتها بالوصية بالوالدين يرجع إلى مقصدين: أحدهما مقصد نفساني، بتربية النفوس على الشكر والاعتراف بالجميل، تخلّقًا بأخلاق الشكور سبحانه، فكما أمر سبحانه بشكره على نعمة الخلق والرزق، كذلك أمر سبحانه بشكر الوالدين على الإيجاد الصوري والتربية.

والمقصد الثاني عُمراني، بتقوية أواصر وروابط الأسرة، وحسن المعاشرة والمودة والمحبة، ما يقوم مقام غريزة عاطفة الأمومة والأبوة.⁸

وهنا تتجلى أهمية تربية النفس ومجاهدتها على بر الوالدين، فاللين والرحمة والكلمة الطيبة والصوت الخفيض يحتاج لقلب كبير وممارسة طويلة. والتذلل للوالدين لا عن ضعف، بل عن حب تفيض به النفس فتظهر في الجوارح، فيرتقي البار من الإيمان إلى الإحسان.⁹

وأتناول بحول الله وتيسيره في هذا البحث أربعة مواضع من كتاب الله، تتكلم عن حق الوالدين في البر، وما فيها من التشابه اللفظي¹⁰ لاستخراج ما فيها من حكم وهدايات، وهذه المواضع هي:

الموضع الأول: آية الإسراء

﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَنًا ۖ إِنَّمَا يُبَلِّغَنَّ عَنْكَ الْكِبَرُ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ٢٣﴾ وَأَخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذَّلِيلِ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا ٢٤ رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمْ ۚ إِن تَكُونُوا صَالِحِينَ فَإِنَّهُ كَانَ لِلأَوَّابِينَ غَفُورًا ﴿[الإسراء: 23-25]

الموضع الثاني: آية العنكبوت

﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا ۖ وَإِنْ جَاهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا إِلَىٰ مَرْجِعِكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿[العنكبوت: 8]

الموضع الثالث: آية لقمان

﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفَصَّلَهُ فِي عَامَيْنِ أَنْ أَشْكُرَ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَىٰ الْمَصِيرِ ١٤﴾ وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَىٰ أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبُهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿[لقمان: 14، 15]

الموضع الرابع: آية الأحقاف

﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَنًا ۖ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا وَحَمَلُهُ وَفَصَّلُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي ۖ إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ١٥﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَنَتَجَاوَزُ عَنْ سَيِّئَاتِهِمْ فِي أَصْحَابِ الْحِجَّةِ ۚ وَعَدِ الصِّدْقِ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ ﴿[الأحقاف: 15، 16]

المبحث الأول: متشابه اللفظ القرآني في المفردة.

المطلب الأول: اختلاف صيغة الأمر بين (قضى) في الإسراء و (وصينا) في بقية الآيات:

يأمر الله تعالى في آية الإسراء بألا نعبد إلا إياه، فهو الإله المعبود الحق المستحق للألوهية والربوبية. ثم يأمر سبحانه في هذه الآية وبقية آيات الوصية بالوالدين -آيات العنكبوت ولقمان والأحقاف- ببر الوالدين والإحسان إليهما تعطفًا ورحمةً بهما¹¹.

وإذا تأملنا آيات الوصية بالوالدين نلاحظ تفرد آية الإسراء بالأمر بلفظ (قضى) بينما بقية الآيات كان الأمر فيها بلفظ (وصى). فما الفرق بين دلالتى قضى ووصى؟ ولماذا تفردت آية الإسراء باستعمال لفظ قضى؟

بالرجوع للمعاجم اللغوية نجد أن القضاء في اللغة: الأمر القاطع التام المحكم¹². والقضاء يأتي بمعان متعددة، منها: فصل الحكم بين العباد¹³، الحكم على العباد حكم تعبد¹⁴، الأمر القاطع الحتم¹⁵، العهد والإلزام¹⁶، الحكم الجازم الذي لا يقبل النسخ¹⁷، فصل الأمر بحكمة وبخبر يقين¹⁸.

ويظهر مما سبق أن معنى القضاء يدور حول: الأمر اللازم، والحكم الجازم.

أما الوصية في اللغة: فهي الطلب والأمر، ويحمل معنى التذكير والاستعطاف. والوصية من الله فرض¹⁹. ومن معاني الوصية الأمر أو النهي طلبًا للنفع²⁰، والوصية أمر مهم موضع الاعتناء، ووعظ للغير ببيان الطريق القويم²¹.

ولعل في الجمع بين لفظتي القضاء والوصية في آيات البر مزيد العناية والتأكيد؛ لأهمية الأمر ببر الوالدين²²، بالجمع بين دلالتى الإلزام والوعظ.

لكن لماذا كان الأمر بلفظ القضاء في آية الإسراء، وبلفظ الوصية في بقية الآيات الكريمة؟!

بالتأمل والتدبر للآيات الكريمة نلاحظ تفرد آية الإسراء بالأمر بالتوحيد قبل الأمر ببر الوالدين، فلعله بذلك ناسب مجيء الأمر بالقضاء وهو الأقوى دلالةً، والأكيد أمرًا من

الوصية، إضافة إلى قوة وشدة آية الإسراء، لما فيها من التحذير من أدني درجات العقوق من تأفف وتذمر، وما تميزت به الآية من تفصيل لذكر حقوق الوالدين القولية والفعلية، والأمر بالدعاء لهما.

وفي هذا المقام يطرح الشيخ الشعراوي رحمه الله يطرح سؤالاً: لماذا قرن الله تعالى حقه بالعبادة بحق الوالدين في البر؟

هل يُعظّم الله تعالى بذلك حق الوالدين؟ أم يقرب للعقول البشرية حقه تعالى وفضله على عباده - وهو أمر عقلي غيبي - ببيان فضل الوالدين على أبنائهم من تربية ورعاية - وهو أمر محسوس مشاهد؟ ثم يجيب الشعراوي بأنه لا مانع من الأمرين معاً، فيكون كل منهما دليلاً على الآخر²³.

المطلب الثاني: اتفاق ورود لفظ (الوالدين) وليس (الأبوين) في جميع آيات البر:

إذا تأملنا آيات الأمر ببر الوالدين، نجد أن الله تعالى ذكر لفظ (الوالدين) لا (الأبوين). فما سر اختيار الحكيم عز وجل هذا اللفظ دون غيره؟

بعد الرجوع للمعاجم اللغوية لمعرفة الفرق بين لفظي الوالدين والأبوين، تبين أن كلمة الوالدين هي مثنى الوالد والوالدة، والوالد: الأب، والوالدة: الأم، وهما الوالدان على التغليب²⁴. والولادة: وضع الولادة ولدها²⁵.

أما كلمة الأبوين فهي مثنى الأب والأم. والأب في اللغة: هو مَنْ يتولد من نطفته آخر من نوعه. ولفظ الأب يدل على التربية والتغذية، وبذلك سُمِّي الأب أباً²⁶.

إذن، كلمة الوالدين وكلمة الأبوين مترادفتان من حيث المسمى، فيصح إطلاق كل منهما على الآخر ظاهراً، لكن بتأمل الأصل اللغوي والاشتقاقي نلاحظ فروقاً دقيقة تظهر في الاستعمال القرآني.

فما الفرق بين لفظي الولادة والأبوة؟

إن التي تلد حقيقةً هي الأم. فبذلك كلمة الوالدين يكون فيها تغليب جانب الأم ومزيد العناية والاهتمام بها، على عكس كلمة الأبوين.

ويتتبع الآيات الكريمة نلاحظ استخدام لفظ الوالدين في آيات البر والدعاء، إشارة إلى أن الأم أولى بالصحة والبر والإحسان من الأب.

يقول الله تعالى في سورة النساء: ﴿وَالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ [النساء: 36]، ثم في سورة إبراهيم: ﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ﴾ [إبراهيم: 41]، وهكذا في سورة نوح: ﴿رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ﴾ [نوح: 28].

بل وفي آيتي لقمان والأحقاف كان التعقيب تفصيلاً بفضل الأم ودورها العظيم، من حمل ووضع ورضاع، فناسب استعمال لفظ الوالدين. ففيه التذكير بولادة الإنسان وجميعه للحياة ضعيفاً عاجزاً، وفصل والديه عليه وعظيم إحسانهما له، مما يدفعه لرد شيء من الجميل والإحسان إليهما.

أما لفظ الأبوين فجاء في الموارث، فكان فيها التغليب لجانب الأب؛ لأنه عصبه الميت، ونصيبه في الميراث يكون أكثر من الأم في أكثر الصور.

قال الله تعالى: ﴿وَلَا بُؤْيُوهَ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا السُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِنْ كَانَ لَهُ وَلَدٌ فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ وَلَدٌ وَوَرِثَهُ أَبَوَاهُ فَلِأُمِّهِ الثُّلُثُ﴾ [النساء: 11].

وقال: ﴿وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ﴾ [يوسف: 100] تغليباً لأبيه يعقوب عليه السلام والتي تدور حوله كثير من أحداث القصة، بل وقد يكون إشارة أن العرش ينبغي أن يكون للرجال.

وقال الله تعالى: ﴿وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَعَلَىٰ آلِ يَعْقُوبَ كَمَا أَتَمَّهَا عَلَىٰ أَبَوَيْكَ مِنْ قَبْلِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ﴾ [يوسف: 6] لشمول كلمة الأبوين للجدين، وكذا في قول الله تعالى: ﴿يَبْنِيَّ عَادَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ الْجَنَّةِ﴾ [الأعراف: 27] أي أبونا آدم وأمنا حواء.²⁷

فكلمة والد لا تُطلق إلا على الوالد حقيقة من غير واسطة، أما الأب فيُطلق على الجد البعيد، قال تعالى: ﴿مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ﴾ [الحج: 78]²⁸.

ويضيف ابن باديس رحمه الله أن استعمال لفظ الوالدين فيه الإشارة إلى استحقاقهما الإحسان لمجرد الوالدية، سواء كانا صالحين أو فاجرين، محسنين إليه أو مقصرين²⁹.

وهذا الذي يميز المؤمن الذي يعمل للآخرة ابتغاء مرضاة الله تعالى، دون نظر لسابق إحسان. فالمؤمن يستشعر وقوفه بين يديه تعالى للحساب، وأن تقصير الوالدين تجاه ولدهما في الصغر، لا يبرر له عقوبته لهما في الكبر، فملك الملوك سبحانه هو الذي سيتولى حساب الوالدين المقصرين، لا الابن.

المطلب الثالث: اختلاف وصف مشاق الأم بـ (الوهن) في لقمان، و (الكُرْه) في الأحقاف:
بعد الحديث عن الفرق بين الاستعمال القرآني للفظي الوالدين والأبوين، وأن آيات البر والدعاء كانت بلفظ الوالدين تقديمًا لحق الأم على الأب. نجد أن في آيتي لقمان والأحقاف، بعد ذكر الوالدين معًا، جاء تخصيص الأم بالذكر؛ تأكيدًا للمعنى السابق، وهو تقديم الأم في البر³⁰.

ففي آية لقمان يقول الله تعالى: ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفَصَّلَهُ فِي عَامَيْنِ﴾ [لقمان: 14] وفي آية الأحقاف يقول الله تعالى: ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا وَحَمْلُهُ وَفَصْلُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا﴾ [الأحقاف: 15].

فبعد الوصية بالوالدين معًا، والأمر بالإحسان إليهما، لما كان منهما من تربية وتنشئة، ذكرت آيتا لقمان والأحقاف بعد ذلك ما تعانیه الأم من مشقة وعناء الحمل والوضع والفصال، تنبيهًا وتذكيرًا لحقها العظيم من التكریم وجميل الصبغة³¹.

ولكننا نرى في آية لقمان ذكر الحمل والفصال، ووصف الحمل بالوهن. وفي آية الأحقاف ذكرٌ للحمل والوضع والفصال، ووصف للحمل والوضع بالكُرْه.

وهذا يقود إلى سؤالين، أولهما: ما الفرق بين الوهن والكُرْه؟! والثاني: لماذا كان

الاكتفاء في آية لقمان بذكر الحمل والفصال، وآية الأحقاف كان فيها زيادة الوضع؟!

الْوَهْنُ فِي اللُّغَةِ: الضعف في الشيء وفي العمل، وكذا في العظم والبدن. وامرأةٌ وَهْنَاءٌ: من بها فتور عند القيام³².

وقوله تعالى: ﴿حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَى وَهْنٍ﴾ أي ضعفاً على ضعف، وجهداً على جهد، وشدة على شدة. أي كلما ازداد الحمل ازداد الضعف والجهد والشدة والتعب³³. ولعل المراد ضعف الحمل، ثم ضعف الطلق، ثم ضعف النفاس³⁴. ويمكن القول بأن المرأة ضعيفة في خلقها، ثم يزيدها الحمل ضعفاً؛ لثقله³⁵، كلما عظم في بطنها ازدادت ضعفاً³⁶. أما الكُره، فهو في اللغة: من الكراهية والمشقة، وافتح الكاف من الإكراه³⁷.

وقوله تعالى: ﴿حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا﴾ أي مشقة وشدة، وأعراض الحمل وأمراضه، ومن تعب ووحام، ثم مشقة وشدة الطلق³⁸، مع شدة الخوف على النفس وعلى الجنين³⁹. فهي تكره آلام الحمل والوضع، لا الجنين نفسه، بل تتحمل المكاره لأجله⁴⁰.

فلماذا كان التعبير في آية لقمان بالوهن على وهن، وفي الأحقاف بالكره؟! يذكر لنا الماتريدي أن آية لقمان تصف حال الحامل وازدياد الوهن والضعف بها كلما تقدم بها الحمل. أما آية الأحقاف فتصف الحال المستمر من بداية الحمل إلى الوضع بالكره⁴¹. وبالجمع بين الآيتين الإخبار بحال الحامل من الوهن والكره، وحالها في الوضع بالكره⁴². لكن آية الأحقاف أشد، بذكر الوضع ووصفه بالكُره، فالحديث في الآية الكريمة عن والدين مؤمنين⁴³.

وهنا لطيفة لفت إليها إليها ابن عاشور في ذكر الفصل بدل الرضاع نفسه - إضافة لكون الفصل مستلزماً للرضاع - بأن في ذلك إشارة لمشقة الفصل على الأم؛ لما تشاهده من حزن ابنها وألمه عند الفطام. كما فيه ذكر أقصى مدة الرضاع، وهي السنتان وذلك بحرف الظرف (في) أي خلال العامين⁴⁴.

وفي آية الأحقاف توافق مع حديث رسول الله ﷺ الشهير بتقديم الأم في البر ثلاثاً⁴⁵، فلعلها استحققت ذلك بالحمل ثم الوضع ثم الرضاع⁴⁶.

المبحث الثاني: متشابه اللفظ القرآني في التراكيب.

المطلب الأول: اختلاف قوة المجاهدة على الإشراك من قبل الوالدين بين آيتي العنكبوت ولقمان:

إذا تأمنا آيات الوصية بالوالدين، نلاحظ تفرد آيات العنكبوت ولقمان بالحديث عن حكم الوالدين المشركين، المجاهدين لأبنائهم على الشرك، فما الفرق بين الموضعين؟ يذكر الله تعالى في آيتي العنكبوت ولقمان الوصية ببر الوالدين، ما لم يأمر بمعصية الخالق سبحانه، فإن جاهد الوالدان أو أحدهما ابنهما على الشرك، أي على أمر ليس له به علم وحجة، حيث لا يعلم أنه له شريك تعالى الله عنه علواً كبيراً، فلا علم من العلوم يدل على الشرك، ولا دليل أو حجة عليه، بل كل العلوم دالة على التوحيد، متفقة مع المنقول عن الرسل والأنبياء عليهم الصلاة والسلام.

فإن أمراً بالشرك فلا يطيعهما بل ويخالفهما في ذلك ابتغاء رضوان الله⁴⁷، فطاعة الوالدين لازمة في الواجبات، مندوبة في المباحات، محظورة في المحرمات⁴⁸.

وهذا الاتفاق بين الآيتين في المعنى العام، أما تفصيلاً فنرى الفرق بين قوله تعالى في العنكبوت: ﴿وَإِنْ جَاهِدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي﴾ وقوله تعالى في لقمان: ﴿وَإِنْ جَاهِدَاكَ عَلَى أَنْ تُشْرِكَ بِي﴾، فإن لفظ آية العنكبوت (لِتُشْرِكَ) وافقت ما قبلها في اللفظ ﴿وَمَنْ جَاهِدْ فَإِنَّمَا يُجَاهِدْ لِنَفْسِهِ﴾ [العنكبوت: 6]. أما آية لقمان فهي محمولة على المعنى، فالتقدير: وإن حملاك على أن تشرك.

كما أن آية العنكبوت مبنية على الإيجاز، فناسب فيها الاكتفاء باللام، أما آية لقمان فمبنية على الإطالة فناسب فيها التعدية بعلی⁴⁹.

ثم إن آية العنكبوت لمطلق الفتنة، لا لقوة الكفار، وما يستلزمه من مطلق الجهاد والثبات على الدين، فناسب فيها التعبير بلام العلة.

وحذرت الآيات بعدها من النفاق، فقال تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِاللَّهِ فَإِذَا أُوذِيَ فِي اللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةً لِلنَّاسِ كَعَذَابِ اللَّهِ﴾ [العنكبوت: ١٠] [العنكبوت: 10].

أما آية لقمان فهي في حال علو الوالدين وقوتهم وتمكنهم من أسباب الفتنة، وقوة مجاهدتهم لابنهم على الشرك، وذلك لما يفيد حرفة الاستعلاء (على) من الإلحاح والمبالغة بالدعوة إلى الشرك، فإنَّ ضعف الابن أطاق باللسان دون القلب⁵⁰.

لذلك ناسب حذف كلمة (حسنًا) في آية لقمان في حال شدة المجاهدة على الشرك، على خلاف آية العنكبوت. لكن، لما قد ينتج من شدة المجاهدة على الشرك من النفرة وعقوق الوالدين، اقتضى التعقيب في آية لقمان بقوله تعالى: ﴿وَصَاحِبُهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا﴾. حتى لا يُفهم من الآية الإعراض التام عن الوالدين في حال مخالفتها في الدين، أو مجاهدتهما على الشرك⁵¹.

فمن الملاحظ هنا أن الله تعالى لم يرخص في العقوق في حق الوالدين الكافرين المجاهدين ابنهما على الشرك، بل قال تعالى: (فلا تطعهما) ولم يقل (فعهما)، بل وبعدها: (وصاحبهما في الدنيا معروفًا) أي فيما سوى ذلك من أمور الدنيا من تفقد شؤونهما، ومعرفة احتياجاتهما الدنيوية، وتليبيتها، دون أن يلجئهما إلى ذل السؤال. ولعل مجيء لفظ (الدنيا) للتذكير بسرعة انقضائها، والصبر على مشقة مجاهدة الوالدين على الشرك، وأن الدنيا مجرد أيام قلائل مقابل جنة الخلد.

فكيف يحدد بعد ذلك الأب الكافر الذي يرى سماحة الإسلام ووصيته بالوالدين حتى في حال مجاهدتهما ابنهما على الشرك؟!⁵². بل وكيف يبرر الابن العاق عقوقه لوالديه المؤمنين لمجرد تقصيرهما في شيء من التربية بعد أن يدرك ويتأمل هذه التوصية بالوالدين الكافرين؟!

المطلب الثاني: تفرد آيتي العنكبوت ولقمان بذكر المرجع إلى الله:

بعد الحديث عن مجاهدة الوالدين المشركين لأبنائهم على الشرك في آيتي العنكبوت ولقمان، نضيف هنا تفردًا آخر لهاتين الآيتين دون سائر آيات الوصية بالوالدين، ألا وهو ذكر المرجع إلى ملك الملوك سبحانه بقوله: ﴿إِلَىٰ مَرْجِعِكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾⁵³ فما هو سر هذا التفرد؟

إن الله عز وجل يبين في الآيتين الكريمتين حدود الطاعة للوالدين، فلا طاعة لهما في معصية الخالق سبحانه، مع مصاحبتهم بالمعروف، والأمر باتباع النبي ﷺ، وهو سبيل من أناب ورجع إلى الله سبحانه وتعالى.

ثم يذكر تعالى أن المعاد والمصير إليه يوم القيامة، فيخبر عباده بما كان منهم من صالح الأعمال وسيئها، ثم يجازي المحسن بالإحسان، والمسيء بما هو أهله. ففي ذلك وعيد وتحذير من مخالفة أمر الله، أو الوقوع في نواهيه، وتحذير خاص هنا من طاعة الوالدين على الشرك واتباعهما في ذلك.

فإن الله سبحانه وتعالى هو الذي يجازي الولد المطيع البار، وهو الذي يجازي الوالد الكافر المجاهد على الشرك، فلا يُعَقِّ الوالدان لأجل شركهما، فالجازي على الشرك هو الله وحده، هو الذي يجازي المحسنين والمسيئين⁵³.

وبذلك تتبين الحكمة من تفرد آيتي العنكبوت والأحقاف بذكر المرجع إليه سبحانه، دون آيات الإسراء والأحقاف؛ لما تفردت به الآيتان من ذكر مجاهدة الوالدين على الشرك، فناسب التذكير بالرجوع إليه سبحانه، والوقوف بين يديه تعالى للحساب؛ تحذيرًا من الانصياع لهما⁵⁴.

وبشيء من التأمل نلاحظ الإطناب في آية لقمان لقوة المجاهدة على الشرك من الوالدين، فذكرت الآية - بعد النهي عن طاعتهما - حقهما في المصاحبة بالمعروف، ثم الأمر باتباع سبيل المؤمنين المنيين إليه، وأخيراً ذكر المرجع إليه سبحانه، فقال الله تعالى: ﴿فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبُهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [لقمان: 15].

وهذا في مقابل الاختصار في آية العنكبوت بالاكْتفاء بالنهي عن طاعتهما في الشرك، ثم مباشرة ذكر المرجع إلى الله سبحانه، فقال الله تعالى: ﴿فَلَا تُطِعْهُمَا إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾.

المطلب الثالث: اختلاف درجات البر بالوالدين:

عند تأمل آيات البر بالوالدين نلاحظ اختلاف التعبير عن البر بين (إحسان - حُسن - ومصاحبة بالمعروف). ففي آية الإسراء يقول الله تعالى: ﴿وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ وكذا في آية الأحقاف: ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا﴾. أما في آية العنكبوت: ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا﴾، وفي آية لقمان: ﴿وَصَاحِبُهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا﴾.

فما سر هذا التنوع بين الآيات الكريمة؟

إذا وقفنا على الفرق بين دلالة لفظ كلٍّ من (الحسن) و (الإحسان)، نجد أن الحسن: خلاف القبح، والإحسان: خلاف الإساءة⁵⁵.

والحُسن: هو كل مبهج مرغوب فيه⁵⁶. أما الإحسان فهو المبالغة في الإكرام والعطاء والإنعام إلى الغير.

إذن، الإحسان أعلى درجةً وأقوى من الحُسن، وأمكن في الإكرام منه، يتعدى خيره ونفعه إلى الآخرين. أما الحسن فهو وصف للشيء في ذاته.

وعلى هذا، فإنه عند الحديث عن حق الوالدين المؤمنين، كما في آيتي الإسراء والأحقاف، ناسب استعمال لفظ الإحسان، وعند الحديث عن والدين مجاهدين للشرك، كما في آية العنكبوت، ناسب استعمال لفظ الحُسن، وفي آية لقمان تمثلت أعلى درجات المجاهدة على الشرك، فناسب حذف لفظ الحسن، والاكتفاء بالأمر بالمصاحبة في الدنيا بالمعروف.

وقد ناسب مجيء آية المصاحبة بالمعروف في سورة لقمان، ووصاياها الحكيمة لولده في حسن المصاحبة وكريم الخلق، في تعامله مع أفراد المجتمع.

وبهذا التأمل الدقيق يستشعر الابن عظيم حق الوالدين المؤمنين بما يشمله معنى الإحسان من بر وتلطف ورحمة وانكسار وتذلل بين أيديهما⁵⁷، واستحقاقهما لأعلى درجات البر والإحسان.

وخلاصة القول في درجات البر بالوالدين، وحقهما على أبنائهما:

أولاً: الوالدان المؤمنان، كما في آيتي الإسراء والأحقاف: الإحسان.

ثانياً: الوالدان المجاهدان للشرك، كما في آية العنكبوت: التعامل بالحُسن.

ثالثاً: الوالدان المجاهدان على الشرك، كما في آية لقمان: المصاحبة بالمعروف.

المطلب الرابع: تفرد آيتي الإسراء والأحقاف بذكر مرحلة كبر الوالدين والأبناء، والدعاء للوالدين:

من الملاحظ كذلك في آيات البر، أنه قد خصت آية الإسراء مرحلة كبر الوالدين بمزيد من التوصية بالبر والتعاهد، فقد كبرا وعجزا وأصبحا في حاجة لابنهما بعد أن كان هو محتاجاً إليهما في طفولته، فإن لم يكن لهما كافل غيره، وكانا عنده في بيته وتحت رعايته؛ فذلك أشق عليه وأدعى للملل والضجر والاستئثار، فكان أدعى لزيادة التوصية بهما بالإحسان إليهما، والصبر والاحتمال والمدارة⁵⁸.

يقول الله تعالى في آيتي الإسراء: ﴿وَقَصَىٰ رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أَفٍ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ٥٩ وَأَخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذَّلِيلِ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا ٦٠﴾.

أي إذا عاش الوالدان، أو أحدهما، حتى بلغا سن الهرم، فهما في حاجة إلى من يكفيهما، ويقوم على مصالحهما كحال ابنهما في صغره، فلا ينبغي للابن أن يستثقل أو يتضرر أن يقدم لهما ما كانا يقدمانه له في صغره.

وهنا خصصت الآية الكريمة حال كبر الوالدين، وإن كان الأمر بالإحسان إليهما عامًا في جميع مراحل الحياة، لما تغلب عليهما من حالة الضعف وشدة الحاجة، حتى كانا في كفالة ابنهما، تحذيرًا من الملل والضجر والتبرم منهما، أو ضيق الصدر من أفعالهما، فجاءت الوصية بالوالدين إلى أبنائهما، فالأبناء لا يملكون ما لدى الوالدين من فطرة الشفقة والمحبة والرحمة.⁵⁹

وحذرت الآية الكريمة حتى من التأفف والتبرم مما قد يجده الابن منهما بحكم الكبر والهرم أو الاختلاط، وألا ينطق بأدنى لفظ قد يوجعهما، فالأولى تجنب ما هو أشد من ذلك قياسًا بطريق الأحرى⁶⁰.

بل وصرحت الآية بتحريم نهرهما، أي زجرهما، أو تعنيفهما⁶¹، بل على العكس من ذلك يبادرهما بالقول الكريم الجميل الحسن، اللين السهل، الذي يفصح عما في قلبه من الرحمة بهما، والإكرام لهما، فيسعى إلى مؤانستهما بالكلام اللطيف، ومجالستهما ومحادثتهما، ولا يوحشهما ببعده وطول سكوته وغيابه عنهما⁶².

وبعد ذكر أدب القول، يذكر الله تعالى أدب الفعل، فيشبه حال عطف الابن بوالديه، بحال الطائر إذا أرخى جناحه عند نزوله أو سقوطه، أو ضم فراخه للتربية والحنو بهم، فتكون الصورة ترفيقًا لقلب الابن وتذكيرًا بفضل الوالدين السابق، وأبعث له على العمل والبر والإحسان.

فيأمر الله تعالى الابن أن يلين لهما جانبه ساكنًا متذللًا متواضعًا، مبالغةً في الرحمة بهما، كما ألان لهما لسانه بالقول الكريم، فيخضع لهما قولاً وعملاً، ويتذلل لهما تذلل المستعين المحتاج إليهما، لا المتعالي بإعانتة لهما، المتفضل عليهما، فهما مخدومان باستحقاق ووجوب، لا تفضلاً واختياراً⁶³.

ثم الدعاء لهما بالرحمة جزاء التربية الإيمانية منهما لأبنائهما، إحياءً للشفقة في قلوب الأبناء تجاه والديه، خاصة في كبرهما، بتذكر سابق الإحسان منهما، وهذا في حق الوالدين المؤمنين⁶⁴، أما وهما على الكفر فلا يستحقان هذا الدعاء؛ لاكتفائهما بتربية الجسد دون القلب⁶⁵.

وفي المقابل، يمكن أن نتساءل بأنه إن كانت التربية سبباً لنيل الدعاء، ألا يستحق من قام بالتربية - ككافل اليتيم مثلاً - هذا الجزاء من الدعاء بالرحمة⁶⁶؟! إنه يستحق ذلك لا جرم.

وبعد معرفة تفسير الآية وفهمها، وبشيء من التدبر والتأمل نلاحظ تناسب لفظ (ربك) في أول آية الإسراء في قوله: (وقضى ربك) وفي بداية الدعاء: (رب ارحمهما) لما ذُكر فيها من فضل الوالدين في (التربية)، ما لم يُذكر في بقية الآيات الكريمة، تقريباً وتحليّةً لحق (الرب) باستشعار حق الوالدين. وكما ذكر السعدي⁶⁷ فإن الرب هو المربي عباده بالنعم والتدبير، وأعلى من ذلك تربية أصفياه بإصلاح قلوبهم وأخلاقهم، ولهذا ينبغي أن يكثر دعاؤهم له سبحانه بهذا الاسم الجليل.

أما آية الأحقاف فيقول الله تعالى فيها: ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا وَحَمَلُهُ وَفَصْلُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي إِنِّي تُثِبتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٥﴾﴾.

فكان فيها تخصيص سن الأربعين للأولاد، حيث ينشغل الأولاد فيه عادةً بأزواجهم وأبنائهم وأعمالهم وتكثر المسؤوليات، وذلك مظنة الانشغال عن الوالدين والإحسان إليهما⁶⁸.

كما أن فيه الإشارة إلى ما قد يكون وقع غالبًا من التقصير من الأبناء في مرحلة الصبا والشباب، حتى بلغ الابن أشده ورشده، وأراد إصلاح الحال والتعويض عن التقصير والتفريط، بل ونظر إلى ذريته نظرة أبوية، تحرك عاطفته نحو والديه.⁶⁹

بل ويرتقي، بأن يوازن بين حق والديه وحق أولاده، ويكون عونًا لهم على بره، ويدعو الله لهم بالإصلاح.. كما قال تعالى: ﴿وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي﴾. ولعل ذكر الدعاء للأبناء في ثنايا آيات البر بالوالدين، إشارة إلى أن الجزء من جنس العمل، فالبار بوالديه يُرجى أن يرزقه الشكور أبناءً بارين⁷⁰.

وعلى هذا، كان استعمال القرآن للفظ (إحسانًا) في الآيتين، وهي أعلى درجات البر بالوالدين المؤمنين، فكانت التوصية أقوى بهما في حال كبر الوالدين، وكبر الابن وبلوغه سن الأربعين، على خلاف استعمال القرآن للفظ (حسنًا) في آية العنكبوت، والمصاحبة بالمعروف في آية لقمان.

المطلب الخامس: جزاء الولد الصالح البار بوالديه، المحسن لهما:

بعد دراسة آيات الوصية بالوالدين، وبيان عظيم حقهما على أبنائهما، وما ذكرناه على وجه الخصوص في المبحث الخامس من تفرد آيتي العنكبوت ولقمان بذكر المرجع إليه سبحانه، تحذيرًا من الانصياع للوالدين وطاعتهما في الشرك، نذكر هنا في المقابل ما تفردت به آيات الإسرء والأحقاف - والتي تمثل أعلى درجات البر والإحسان للوالدين المؤمنين - من ذكر التجاوز عن الزلات والهفوات مع الوالدين، وذلك في آية الإسرء، ثم قبول عمل الولد البار وغفران زلاته في آية الأحقاف.

يقول الله تعالى في آية الإسراء: ﴿رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمْ إِن تَكُونُوا صَادِقِينَ فَإِنَّهُ كَانَ لِلأَوَّابِينَ غَفُورًا ۝﴾ أي يعلم سبحانه ما في قلوبكم من تعظيم أمر بر الوالدين، أو الاستخفاف بحقوقهم والعقوق بهم، أو الثاقل والكرهية لهما خاصة في كبرهما، وغير ذلك مما قد تضرره نفوسكم، فلا تظهرونه، وتلتزمون بمجاهدة النفس والهوى، فإنه سبحانه لا يخفى عليه شيء، وهو المجازي على الحسن من ذلك أو السيء، فاحذروا العقوق وبادروا للبر والإحسان، إخلاصًا لله تعالى ورغبةً فيما عنده من ثواب البر والإحسان، لا ابتغاءً ثناء الناس ومدحهم على البر⁷¹.

فإن أصلح الابن نيته، وأطاع في المقدور، وأدى لهما حقوقهما، بما يرضي الله تعالى، ثم كانت منه هفوة أو زلة، أو تقصير من غير قصد - بمقتضى الطبيعة البشرية - فبادر بطلب العفو والسماح من والديه، والاستغفار منه تعالى، فإن الله كان للتائبين غفورًا⁷².

وقيل: هو في حق الابن العاق بعد ندمه وتوبته وتداركه أمر والديه بالعدر والبر والإحسان⁷³.

ولعل فيه كذلك إشارة لاطلاع الله تعالى على أحوال بعض الآباء أو الأمهات الذين يكلفون أبناءهم فوق طاقتهم، فيظن بذلك بعض الأبناء أنه عاق لوالديه، مرتكب لكبيرة، مغضب للرب، فتأتي الآية الكريمة تطينًا ببيان علم الله وعدله⁷⁴.

وفي آية الأحقاف يذكر الشكور سبحانه جزاء هؤلاء الأولاد البررة، التائبين إلى الله المنيبين إليه، بأنه يتقبل منهم صالح أعمالهم وطاعتهم ويشيهم عليها، ويصفح عن زلاتهم فلا يعاقبهم عليها، فيغفر لهم كثيرًا من الزلل، ويتقبل القليل من العمل، وهم مع أصحاب الجنة، كما كانوا يوعدون في القرآن الكريم بالجزاء العظيم على بر الوالدين⁷⁵.

يقول الله تعالى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَنَتَجَاوَزُ عَنْ سَيِّئَاتِهِمْ فِي أَصْحَابِ الْجَنَّةِ وَعَدَ الصِّدْقِ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ ۝﴾.

ويبين ابن عاشور جمال التعقيب بقوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا﴾ بأن الإحسان للوالدين من أفضل الأعمال، وهو من أحسن ما عملوه، فتقبله الله بكرمه وإحسانه، وهو من أكثر ما يدفع المؤمن للإحسان راجياً أن يكون من الفريق المشرفين المقبولة أعمالهم⁷⁶.

ويشير السائيس⁷⁷ إلى اختيار لفظ الإنسان في الآيات الكريمة ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ﴾، بأن بر الوالدين وسؤال الله تعالى التوفيق للشكر والعمل الصالح والإصلاح في الذرية، هو آية الإنسانية الكاملة بالانتماء بهذه الأخلاق السامية، والتي يستحق بها المؤمن قبول عمله وتلاشي سيئاته أمام حسناته.

الخاتمة:

اللهم لك الحمد كما ينبغي لجلال وجهك وعظيم سلطانك، والصلاة والسلام على نبينا وحبيبنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد.

فالحمد لله الذي وفقني لدراسة وتوجيه المتشابه اللفظي في آيات الوصية بالوالدين، وقد توصلت من خلالها - بفضل الله جلّ ثناؤه وتوفيقه - إلى نتائج، أبرزها:

1_ تفرد آية الإسراء بصيغة الأمر (قضى) على خلاف بقية الآيات (وصى) لتفرد الآية بذكر الأمر بالتوحيد، ولقوة وشدة آية الإسراء بتحذيرها من أدنى درجات العقوق، من تأفف وتذمر، وتمييز الآية بذكر حقوق الوالدين تفصيلاً.

2_ الاستعمال القرآني للفظ (الوالدين) دون (الأبوين) في آيات البر والدعاء، تقديمًا لحق الأم على الأب في البر.

3_ تفرد آيتي لقمان والأحقاف بذكر مشاق الأم وحالها من الوهن والكراهة، والزيادة في آية الأحقاف للحديث عن والدين مؤمنين.

4_ قوة المجاهدة والإلحاح على الشرك من الوالدين في آية لقمان مقابل آية العنكبوت، فناسب حذف كلمة حسناً.

5_ تفرد آيتي العنكبوت ولقمان بذكر المرجع إلى الله، توافّقًا مع تفردهما بذكر مجاهدة الوالدين على الشرك، تحذيرًا من طاعتهما.

6_ تفاوت درجات حق الوالدين في البر من: (المعاملة بالإحسان) في حق والدين مؤمنين، كما في آيتي الإسراء والأحقاف، و(المعاملة بالحُسن) في حق والدين مجاهدين للشرك، كما في آية العنكبوت، و(المصاحبة بالمعروف) في حق والدين مجاهدين على الشرك، كما في آية لقمان.

7_ تفرد آيتي الإسراء والأحقاف بذكر مرحلة الكبر وحق الدعاء، للوالدين المؤمنين اللذين يستحقان أعلى درجات البر، وهو الإحسان.

8_ تفرد آيات الإسراء والأحقاف - والتي تمثل أعلى درجات البر بالوالدين بالإحسان - بذكر غفران الزلات، وقبول عمل الولد البار.

هذا، والله تعالى أعلم، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين.

قائمة المصادر والمراجع:

1. إبراهيم مصطفى، أحمد الزيات، حامد عبد القادر، محمد النجار، المعجم الوسيط، (القاهرة: دار الدعوة، 1400هـ-1980م).
2. ابن أبي ثعلبة، يحيى بن سلام، تفسير يحيى بن سلام، تحقيق: د. هند شلي، (بيروت: دار الكتب العلمية، 1425هـ-2004م).
3. ابن الأحنف اليمني، أحمد بن أبي بكر الجبلي، البستان في إعراب مشكلات القرآن - من الأنبياء إلى آخره، تحقيق: د. أحمد الجندي، (الرياض: مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، 1439هـ - 2018م).
4. ابن الجوزي، عبد الرحمن بن علي بن محمد، زاد المسير في علم التفسير، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، (بيروت: دار الكتاب العربي، 1422هـ).
5. ابن الزبير الغرناطي، أحمد بن إبراهيم، ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل في توجيه المتشابه اللفظ من آي التنزيل، وضع حواشيه: عبد الغني الفاسي، (بيروت: دار الكتب العلمية، 1427هـ-2006م).
6. ابن العربي، محمد بن عبد الله أبو بكر، أحكام القرآن، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، ط3، (بيروت: دار الكتب العلمية، 1424هـ - 2003م).
7. ابن باديس، عبد الحميد محمد الصنهاجي، تفسير ابن باديس في مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير، تحقيق وتخريج: أحمد شمس الدين، (بيروت: دار الكتب العلمية، 1416هـ-1995م).
8. ابن جرير الطبري، محمد بن جرير، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، تحقيق: محمود شاكر، (مكة المكرمة: دار التربية والتراث، ت[بدون]).
9. ابن عادل الحنبلي، سراج الدين عمر، اللباب في علوم الكتاب، تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض، (بيروت: دار الكتب العلمية، 1419هـ-1998م).
10. ابن عاشور، محمد الطاهر، التحرير والتنوير، (تونس: الدار التونسية للنشر، 1984م).
11. ابن عجيبة، أحمد بن محمد بن المهدي الحسني، البحر المديد في تفسير القرآن المجيد، تحقيق: أحمد رسلان، ط2، (بيروت: دار الكتب العلمية، 1423هـ-2002م).
12. ابن فارس، أحمد بن فارس القزويني، معجم مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، (بيروت: دار الفكر، 1399هـ-1979م).
13. ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر القرشي، تفسير القرآن العظيم، تحقيق: سامي السلامة، ط2، (الرياض: دار طيبة للنشر والتوزيع، 1420هـ - 1999م).
14. ابن منظور، جمال الدين محمد بن مكرم الأنصاري، لسان العرب، الحواشي: لليازجي وجماعة من اللغويين، ط3، (بيروت: دار صادر، 1414هـ).
15. أبو إسحاق الزجاج، إبراهيم بن السري، معاني القرآن وإعرابه، تحقيق: عبد الجليل عبده شلي، (بيروت: عالم الكتب، 1408هـ - 1988م).
16. أبو المظفر السمعاني، منصور بن محمد، تفسير القرآن، تحقيق: ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس، (الرياض: دار الوطن، 1418هـ-1997م)، 231/3.
17. أبو بكر الأنباري، محمد بن القاسم، الزاهر في معاني كلمات الناس، تحقيق: د. حاتم صالح الضامن، (بيروت: مؤسسة الرسالة، 1412هـ).
18. أبو حفص النسفي، عمر بن محمد، التيسير في التفسير، تحقيق: ماهر حبوش، وآخرون، (إسطنبول: دار اللباب للدراسات وتحقيق التراث، 1440هـ - 2019م).
19. أبو زهرة، محمد بن أحمد بن مصطفى، زهرة التفاسير، (مصر: دار الفكر العربي، ت [بدون]).

20. أبو منصور الماتريدي، محمد بن محمد بن محمود، تفسير الماتريدي = تأويلات أهل السنة، تحقيق: د. مجدي باسلوم، (بيروت: دار الكتب العلمية، 1426هـ - 2005م).
21. أبو هلال العسكري، الحسن بن عبد الله، معجم الفروق اللغوية، تحقيق: الشيخ بيت الله بيات، (قم: مؤسسة النشر الإسلامي، 1412هـ).
22. الأزهرى، محمد بن أحمد، تهذيب اللغة، تحقيق: محمد عوض مرعب، (بيروت: دار إحياء التراث العربي، 2001م).
23. الألوسي، شهاب الدين محمود بن عبد الله، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، تحقيق: علي عطية، (بيروت: دار الكتب العلمية، 1415هـ).
24. البغوي، الحسين بن مسعود، معالم التنزيل في تفسير القرآن = تفسير البغوي، تحقيق: محمد النمر، عثمان ضميرية، سليمان الحرش، ط4، (الرياض: دار طيبة للنشر والتوزيع، 1417هـ - 1997م).
25. البقاعي، إبراهيم بن عمر، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، (القاهرة: دار الكتاب الإسلامي، 1404هـ - 1984م).
26. بيان الحق النيسابوري، محمود بن أبي الحسن بن الحسين، إيجاز البيان عن معاني القرآن، تحقيق: د. حنيف القاسمي، (بيروت: دار الغرب الإسلامي، 1415هـ).
27. بيان الحق النيسابوري، محمود بن أبي الحسن بن الحسين، باهر البرهان في معاني مشكلات القرآن، تحقيق: سعاد بابقي، (مكة المكرمة: جامعة أم القرى، 1419هـ - 1997م).
28. الثعلبي، أحمد بن إبراهيم، الكشف والبيان عن تفسير القرآن، تحقيق: د. عبد الله القبيسي، د. قاري خوشي، (جدة: دار التفسير، 1436هـ - 2015م).
29. الجرجاني، علي بن محمد الشريف الحسني، كتاب التعريفات، تحقيق: جماعة من العلماء بإشراف الناشر، (بيروت: دار الكتب العلمية، 1403هـ - 1983م).
30. جلال الدين السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، معترك الأقران في إعجاز القرآن، (بيروت: دار الكتب العلمية، 1408هـ - 1988م).
31. الجوهري، أبو نصر إسماعيل بن حماد، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، ط4، (بيروت: دار العلم للملايين، 147هـ - 1987م).
32. حجازي، محمد محمود، التفسير الواضح، ط10، (بيروت: دار الجيل الجديد، 1413هـ).
33. الحميري، نشوان بن سعيد، شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم، تحقيق: د. حسين العمري، مطهر الإرياني، د. يوسف محمد، (بيروت: دار الفكر المعاصر، 1420هـ - 1999م).
34. الخطيب الإسكافي، محمد بن عبد الله الأصبهاني، درة التنزيل و غرة التأويل، دراسة وتحقيق وتعليق: د. محمد مصطفى آيدين (مكة المكرمة: جامعة أم القرى، معهد البحوث العلمية 1422هـ - 2001م).
35. الخطيب، عبد الكريم يونس، التفسير القرآني للقرآن، (القاهرة: دار الفكر العربي، 1390هـ - 1970م).
36. الراغب الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد، المفردات في غريب القرآن، تحقيق: صفوان الداودي، (دمشق: دار القلم، 1412هـ).
37. الزبيدي، محمد مرتضى، تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق: جماعة من المختصين، (بيروت: دار إحياء التراث، 1422هـ - 2001م).
38. الزمخشري، جار الله محمود بن عمرو، الكشف عن حقائق غوامض التنزيل، مع الكتاب حاشية (الانتصاف فيما تضمنه الكشف) لابن المنير الإسكندري، وتخريج أحاديث الكشف للإمام الزنلعي، ط3، (بيروت: دار الكتاب العربي 1407هـ).

39. السامرائي، د. محمد فاضل صالح، دراسة المتشابه اللفظي من آي التنزيل في كتاب ملاك التأويل، ط2، (بيروت: دار ابن كثير، 1441هـ-2020م).
40. السامرائي، د. فاضل صالح، على طريق التفسير البياني، ط3، (بيروت: دار ابن كثير، 1444هـ-2023م).
41. السائيس، محمد علي، تفسير آيات الأحكام، تحقيق: ناجي سويدان، (القاهرة: المكتبة العصرية للطباعة والنشر، 2002م).
42. السعدي، عبد الرحمن بن ناصر، تفسير أسماء الله الحسنى [جمعه المحقق من التفسير وغيره من كتب الشيخ]، تحقيق: عبيد العبيد، (المدينة المنورة: الجامعة الإسلامية، 1421هـ).
43. السعدي، عبد الرحمن بن ناصر، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، تحقيق: عبد الرحمن اللويحي، (بيروت: مؤسسة الرسالة، 1420هـ-2000م).
44. السمرقندي، نصر بن محمد، تفسير السمرقندي = بحر العلوم، تحقيق وتعليق: الشيخ علي معوض والشيخ عادل أحمد ود. زكريا النوني، (بيروت: دار الكتب العلمية، 1413هـ-1993م).
45. الشعراوي، الشيخ محمد متولي، تفسير الشعراوي - الخواطر، (مصر: مطابع أخبار اليوم، 1997م).
46. الشهري، د. محسن بن علي، المتشابه اللفظي في القرآن الكريم، دراسة بلاغية في تفسير روح المعاني للألوسي، (طنطا: دار النابعة للنشر والتوزيع، 1442هـ - 2020م).
47. الصنعاني، عبد الرزاق بن همام، تفسير عبد الرزاق، تحقيق: د. محمود عبده، (بيروت: دار الكتب العلمية، 1419هـ).
48. الطيبي، شرف الدين الحسين بن عبد الله، فتوح الغيب في الكشف عن قناع الريب (حاشية الطيبي على الكشاف)، تحقيق: إباد محمد الغوج، (دبي: جائزة دبي الدولية للقرآن الكريم، 1434هـ - 2013م).
49. العلمي، مجير الدين بن محمد، فتح الرحمن في تفسير القرآن، تحقيق: نور الدين طالب، (الكويت: دار النوادر، 1430هـ - 2009م).
50. فاضل، د. محمد نديم، التضمين النحوي في القرآن الكريم، (المدينة المنورة: دار الزمان، 1426هـ - 2005م).
51. الفراهيدي، الخليل بن أحمد، كتاب العين، تحقيق: د. مهدي المخزومي، د. إبراهيم السامرائي، (بيروت: دار ومكتبة الهلال).
52. الفيومي، أحمد بن محمد، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، (بيروت: المكتبة العلمية، ت[بدون]).
53. القرطبي، شمس الدين محمد بن أحمد، الجامع لأحكام القرآن، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، ط2، (القاهرة: دار الكتب المصرية، 1384هـ - 1964م).
54. القشيري عبد الكريم بن هوازن، لطائف الإشارات = تفسير القشيري، تحقيق: إبراهيم البسيوني، ط3، (مصر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، 2000م).
55. القيرواني، مكي بن أبي طالب، الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره، وأحكامه، وجمال من فنون علومه، تحقيق: مجموعة رسائل جامعة بكلية الدراسات العليا والبحث العلمي، جامعة الشارقة، بإشراف: أ.د. الشاهد البوشيخي، (جامعة الشارقة: مجموعة بحوث الكتاب والسنة، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، 1429هـ - 2008م).
56. الكرماني، أبو القاسم برهان الدين، غرائب التفسير وعجائب التأويل، تحقيق: د. شمران العجلي، (حدة: دار القبلية للثقافة الإسلامية، ت[بدون]).
57. الكيا الهراسي، علي بن محمد الطبري، أحكام القرآن، تحقيق: موسى محمد، وعزة عطية، ط2، (بيروت: دار الكتب العلمية، 1405هـ).
58. الماوردي، علي بن محمد، تفسير الماوردي = النكت والعيون، تحقيق: السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم، (بيروت: دار الكتب العلمية، 2019م).

59. محمد رشيد بن علي رضا، تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار)، (مصر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1990م).
60. المرادفة القرآنية بين الأصل الاشتقاقي والنظم القرآني، قوادري جيلاني، مجلة جسور المعرفة، مج. 8، ع 02، 2022م.
61. المراغي، أحمد بن مصطفى، تفسير المراغي، (مصر: مكتبة مصطفى البابي الحلبي، 1325هـ - 1946م).
62. مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، صحيح مسلم، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، (القاهرة: مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، 1374هـ - 1955م).
63. المطعني، د. عبد العظيم بن إبراهيم، خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية، (القاهرة: مكتبة وهبة، 1413هـ - 1992م).
64. النسفي، أبو البركات عبد الله بن أحمد، تفسير النسفي (مدارك التنزيل وحقائق التأويل)، تحقيق وتخريج أحاديث: يوسف علي بدوي، مراجعة وتقديم: محيي الدين ديب مستو، (بيروت: دار الكلم الطيب، 1419هـ - 1998م).
65. النيسابوري، نظام الدين الحسن بن محمد، غرائب القرآن و رغائب الفرقان، تحقيق: الشيخ زكريا عميرات، (بيروت: دار الكتب العلمية، 1416هـ).
66. الهرري، محمد الأمين، تفسير حقائق الروح والريحان في روائع علوم القرآن، إشراف ومراجعة: د. هاشم مهدي، (بيروت: دار طوق النجاة، 1421هـ - 2001م).
67. الهروي، أبو عبيد أحمد بن محمد، الغربيين في القرآن والحديث، تحقيق ودراسة: أحمد فريد المزيدي، تقديم ومراجعة: أ. د. فتحي حجازي، (المملكة العربية السعودية: مكتبة نزار مصطفى الباز، 1419هـ - 1999م).
68. الواحدي، علي بن أحمد، الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تحقيق: صفوان داوودي، (دمشق: دار القلم، 1415هـ).
69. الواحدي، علي بن أحمد، الوسيط في تفسير القرآن المجيد، تحقيق: الشيخ عادل أحمد، الشيخ علي معوض، د. أحمد صيرة، د. أحمد الجمل، د. عبد الرحمن عويس، (بيروت: دار الكتب العلمية، 1415هـ - 1994م).
70. اليمان البندنيحي، التقفية في اللغة، تحقيق: د. خليل العطية، (بغداد: مطبعة العاني، 1976م).

¹ الخطيب الإسكافي، درة التنزيل وغرة التأويل، 250/1، 251.

² ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَءِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآثَرُوا الزَّكَاةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْكُمْ وَأَنتُمْ مُّعْرِضُونَ ﴿٨٣﴾﴾ [البقرة: 83]

³ ﴿وَأَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا ﴿٣٦﴾﴾ [النساء: 36]

⁴ ﴿فَلْيَعْلَمُوا أَنَّمَا خَرَّمَ رَبُّكُمُ عَلَيْكُمْ إِلَّا تَشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِمَّنْ إِمْلَيْتُمْ خَنُ نَزَرْتُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنٌ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَلِكُمْ وَصَّيْتُكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٥١﴾﴾ [الأُنعام: 151]

⁵ ﴿وَبَرًّا بِوَالِدَيْهِ وَلَمْ يَكُنْ جَبَّارًا عَصِيًّا ﴿١٤﴾﴾ [مرم: 14]

⁶ ﴿وَبَرًّا بِوَالِدَيْهِ وَلَمْ يَجْعَلْهُ جَبَّارًا شَقِيًّا ﴿٣٢﴾﴾ [مريم: 32]

⁷ يُنظر: محمد الطاهر ابن عاشور، التحرير والتنوير، 29/26، محمد أبو زهرة، زهرة التفاسير، 2730/5.

⁸ يُنظر: التحرير والتنوير، 73/15.

⁹ يُنظر: د. محمد نلسم فاضل، التضمن النحوي في القرآن الكريم، 293/2.

- 10 المتشابه اللفظي: "هي الآيات التي تكررت، أو تشابهت في النظم الكريم لفظاً، وعُرضت بأساليب متنوعة، إما من حيث اختلاف الحروف أو المفردة أو الجملة، بحسب ما يتطلبه المقام، ويقرره المقصد". د. محسن بن علي الشهري، المتشابه اللفظي في القرآن الكريم، دراسة بلاغية في تفسير روح المعاني للألوسي، ص21.
- 11 يُنظر: ابن جرير الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، 414/17، أبو منصور الماتريدي، تفسير الماتريدي = تأويلات أهل السنة، 26/7، نصر بن محمد السمرقندي، تفسير السمرقندي = بحر العلوم، 2/306.
- 12 يُنظر: أبو بكر الأنباري، الزاهر في معاني كلمات الناس، 486/1، محمد الأزهرى، تهذيب اللغة، 169/9، إسماعيل الجوهري، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، 2463/6، أبو عبيد الهروي، الغريين في القرآن والحديث، 1556/5.
- 13 يُنظر: تفسير الطبري، 2/542.
- 14 يُنظر: منصور السمعاني، تفسير القرآن، 3/231.
- 15 يُنظر: أبو إسحاق الزجاج، معاني القرآن وإعرابه، 230/2، أبو القاسم الكرماني، غرائب التفسير وعجائب التأويل، 624/1، أبو البركات النسفي، تفسير النسفي (مدارك التنزيل وحقائق التأويل)، 251/2.
- 16 يُنظر: غرائب التفسير، 1/624.
- 17 يُنظر: ابن عادل الحنبلي، اللباب في علوم الكتاب، 12/247.
- 18 يُنظر: الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، ص674، محمد متولي الشعراوي، تفسير الشعراوي - الخواطر، 856/2، أبو هلال العسكري، معجم الفروق اللغوية، 431.
- 19 يُنظر: الغريين في القرآن والحديث، 6/2007، أحمد الفيومي، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، 2/662.
- 20 يُنظر: التحرير والتنوير، 2/147.
- 21 يُنظر: أحمد المراغي، تفسير المراغي، 16/26، محمد حجازي، التفسير الواضح، 444/3، محمد الأمين الهري، تفسير حدائق الروح والريحان في روائع علوم القرآن، 86/27.
- 22 يُنظر: عبد الحميد ابن باديس، تفسير ابن باديس في مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير، ص66.
- 23 يُنظر: تفسير الشعراوي، 14/8453.
- 24 يُنظر: محمد مرتضى الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، 9/329.
- 25 يُنظر: تهذيب اللغة، 14/126.
- 26 يُنظر: أحمد بن فارس، معجم مقاييس اللغة، 44/1، نشوان الحميري، شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم، 156/1، إبراهيم مصطفى، أحمد الزيات، حامد عبد القادر، محمد النجار، المعجم الوسيط، 4/1، علي الشريف الجرجاني، كتاب التعريفات، ص7.
- 27 يُنظر: د. عبد العظيم المطعني، خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية، 285/1، 286، د.فاضل السامرائي، على طريق التفسير البياني، 426/2-428، وللاستزادة انظر: المرادفة القرآنية بين الأصل الاشتقاقي والنظم القرآني، قوادري جيلاني.
- 28 يُنظر: معجم الفروق اللغوية، ص566.
- 29 يُنظر: تفسير ابن باديس، ص67.
- 30 يُنظر: اللباب في علوم الكتاب، 17/394، تفسير ابن باديس، ص67.
- 31 يُنظر: تفسير الطبري، 22/112، تفسير الماتريدي، 8/303، تفسير النسفي، 2/714.
- 32 يُنظر: الخليل بن أحمد الفراهيدي، كتاب العين، 4/92، الصحاح تاج اللغة، 6/2215، 2216.

- 33 يُنظر: يحيى بن سلام، تفسير يحيى بن سلام، 674/2، عبدالرزاق الصنعاني، تفسير عبد الرزاق، 23/3، تفسير الطبري، 137/20، تفسير الماتريدي، 303/8، تفسير السمرقندي، 24/3.
- 34 يُنظر: مكي بن أبي طالب القيرواني، الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره، وأحكامه، وجمال من فنون علومه، 5723/9.
- 35 يُنظر: أبو حفص النسفي، التيسير في التفسير، 64/12.
- 36 يُنظر: ابن الأحنف اليمني، البستان في إعراب مشكلات القرآن - من الأنبياء إلى آخره، 56/2.
- 37 يُنظر: العين، 376/3، اليمان البندنجي، التقفية في اللغة، ص664، معجم مقاييس اللغة، 172/5.
- 38 يُنظر: تفسير عبدالرزاق، 196/3، تفسير الطبري، 112/22، الحسين بن مسعود البغوي، معالم التنزيل في تفسير القرآن = تفسير البغوي، 257/7، بيان الحق النيسابوري، إيجاز البيان عن معاني القرآن، 744/2، إسماعيل ابن كثير القرشي، تفسير القرآن العظيم، 280/7.
- 39 يُنظر: بيان الحق النيسابوري، باهر البرهان في معاني مشكلات القرآن، 1314/3.
- 40 يُنظر: عبد الكريم يونس الخطيب، التفسير القرآني للقرآن، 276/13، 277.
- 41 يُنظر: تفسير الماتريدي، 245/9.
- 42 يُنظر: ابن الزبير الغرناطي، ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل في توجيه المتشابه اللفظ من آي التنزيل، 389/2.
- 43 يُنظر: على طريق التفسير البياني، 433/2، 434.
- 44 يُنظر: التحرير والتنوير، 159/21.
- 45 "وذلك إذ قال له رجل: مَنْ أحق الناس بحسن صحابتي؟ قال: أمك. قال: ثم من؟ قال: ثم أمك. قال: ثم من؟ قال: ثم أمك. قال: ثم من؟ قال: ثم أمك." صحيح مسلم، ح2548، كتاب البر والصلة والآداب، باب بر الوالدين، وأنها أحق به، 1974/4.
- 46 يُنظر: مجير الدين العلمي، فتح الرحمن في تفسير القرآن، 287/6، 288.
- 47 يُنظر: تفسير الطبري، 11/20، 12، 139، تفسير الماتريدي، 210/8، علي بن محمد الماوردي، تفسير الماوردي = النكت والعيون، 277/4، إبراهيم البقاعي، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، 167/15، 168.
- 48 يُنظر: تفسير الماوردي، 277/4.
- 49 يُنظر: جلال الدين السيوطي، معترك الأفران في إعجاز القرآن، 344/3، 355.
- 50 يُنظر: نظم الدرر، 167/15، التحرير والتنوير، 160/21.
- 51 يُنظر: نظم الدرر، 168/15، د. محمد فاضل السامرائي، دراسة المتشابه اللفظي من آي التنزيل في كتاب ملاك التأويل، ص161، 162.
- 52 يُنظر: شهاب الدين محمود الألوسي، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، 86/11، عبد الرحمن السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ص648، تفسير الشعراوي، 11650/19، 11648.
- 53 يُنظر: تفسير الطبري، 12/20، تفسير الماتريدي، 210/8، 304، أبو حفص النسفي، التيسير في التفسير، 483/11، شمس الدين محمد القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، 329/13، نظام الدين النيسابوري، غرائب القرآن ورائب الفرقان، 372/5، التحرير والتنوير، 214/20، 215.
- 54 يُنظر: ملاك التأويل، 389/2.
- 55 يُنظر: تفسير المراغي، 16/26، تفسير القرطبي، 193/16، ابن منظور الأنصاري، لسان العرب، 117/13.

- 56 يُنظر: المفردات في غريب القرآن، ص235.
- 57 يُنظر: المفردات في غريب القرآن، ص236، على طريق التفسير البياني، 430/2-434، تفسير الشعراوي، 4/2209-2213.
- 58 يُنظر: الكيا المهراسي، أحكام القرآن، 4/253، محمود الزمخشري، الكشف عن حقائق غوامض التنزيل، 2/657، أبو بكر بن العربي، أحكام القرآن، 3/185.
- 59 يُنظر: تفسير السمرقندي، 2/307، علي الواحدي، الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ص631، أبو حفص النسفي، التيسير في التفسير، 9/392، ابن عجيبة الحسي، البحر المديد في تفسير القرآن المجيد، 3/192، تفسير ابن باديس، ص69.
- 60 يُنظر: تفسير الطبري، 17/415، أبو حفص النسفي، التيسير في التفسير، 9/393، البحر المديد، 3/192.
- 61 يُنظر: تفسير الطبري، 17/417، تفسير الماتريدي، 7/28، البحر المديد، 3/192.
- 62 يُنظر: تفسير الطبري، 17/417، تفسير الماتريدي، 7/29، تفسير ابن باديس، ص70.
- 63 يُنظر: معاني القرآن وإعراجه، 3/235، تفسير الماتريدي، 7/30، علي بن أحمد الواحدي، الوسيط في تفسير القرآن المجيد، 3/104، تفسير السمعاني، 3/233، البحر المديد، 3/192، تفسير الألوسي، 8/55، 56، تفسير ابن باديس، ص70.
- 64 يُنظر: تفسير القرطبي، 10/244.
- 65 يُنظر: تفسير الشعراوي، 4/2216.
- 66 يُنظر: تفسير الشعراوي، 4/2214.
- 67 يُنظر: عبد الرحمن السعدي، تفسير أسماء الله الحسنى، ص199.
- 68 يُنظر: التحرير والتنوير، 26/32.
- 69 يُنظر: التفسير القرآني للقرآن، 13/275، 276.
- 70 يُنظر: التحرير والتنوير، 26/33.
- 71 يُنظر: تفسير يحيى بن سلام، 1/128، تفسير الطبري، 17/421، تفسير الماتريدي، 7/32.
- 72 يُنظر: تفسير الطبري، 17/421، 422، أحمد الثعلبي، الكشف والبيان عن تفسير القرآن، 16/320، أبو حفص النسفي، التيسير في التفسير، 9/396، شرف الدين الحسين الطيبي، فتوح الغيب في الكشف عن قناع الريب (حاشية الطيبي على الكشف)، 9/279، تفسير السعدي، ص456.
- 73 يُنظر: أبو حفص النسفي، التيسير في التفسير، 9/397.
- 74 يُنظر: محمد رشيد رضا، تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار)، 5/69.
- 75 يُنظر: تفسير الطبري، 22/116، عبد الكريم القشيري، لطائف الإشارات = تفسير القشيري، 3/398، تفسير السمعاني، 5/155، أبو حفص النسفي، التيسير في التفسير، 13/388، عبد الرحمن ابن الجوزي، زاد المسير في علم التفسير، 4/108، تفسير ابن كثير، 7/281، التحرير والتنوير، 26/36.
- 76 يُنظر: التحرير والتنوير، 26/35.
- 77 يُنظر: محمد علي السائيس، تفسير آيات الأحكام، ص687.